ثالثا: رواد علم الاجتماع (تابع)

أوجيست كونت (1798- 1857)

01- نشأته وأهم مؤلفاته

هو فيلسوف فرنسي ولد في مدينة "مونبليه" الفرنسية لوالدان كاثوليكيين، إلتحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس سنة 1813، وبعد أن أتم دراسته الجامعية شغل وظيفة معيدا في مدرسة الهندسة، ثم عين بعد ذلك سكريترا عند الاشتراكي "**سان سيمون**"، وفي عام 1826 بدأ في إلقاء سلسلة محاضرات عامة حول الفلسفة الوضعية، ثم أصيب بمرض عقلي جعله ينقطع عن تقديم محاضراته ويحاول الانتحار غرقا في "نهر السين"، ثم عاد بين سنتي 1830 و1843 إلى إلقاء محاضراته التي قدم فيها تصوراته للمعرفة والعلوم، التي حاول من خلالها التأسيس لعلمه الجديد الذي أطلق عليه في البداية اسم "الفيزياء الاجتماعية".**(عبد المعطي، 1981، 59)**

كان "**كونت**" ابن عصر النهضة متأثرا بفلاسفة عصره أمثال "**تيرجو**" و"**كوندرسيه**"، والاضطرابات التي عان منها النظام الاجتماعي وما أحدثته الثورة الفرنسية من تحولات في المجتمع الفرنسي، وأخيرا تعاون مع الفيلسوف "**سان سيمون**" في إخراج أبحاثه ومؤلفاته حيز الوجود،

صاحب ذيوع أفكار "كونت" في الساحة الفكرية جملة من **التطورات والأحداث** لعل أهمها: **(فرج، 179)**

- التقدم التكنولوجي الذي جاءت به الثورة الصناعية.
- النتائج الاجتماعية لانتشار التصنيع التي قدمها المصلحون والأخصائيون الاجتماعيون في مجهوداتهم لحل المشكلات المترتبة على التصنيع.
- التقدم الكبير في العلوم البيولوجية وظهور نظرية التطور الداروينية وما استتبع ذلك من مناقشات وردود أفعال أثرت على المعتقدات.
- التقدم الهائل في وسائل النقل والاتصال وازدياد استخداماتها.

ترك "كونت" تراثا فكريا مهما لعل أهم مؤلفاته: محاضرات في الفلسفة الوضعية، نظام في السياسة الوضعية، كما كتب مقالات في الفلك والطبيعة والكيمياء وتعمق في الفلسفة.

02- قانون تطور الفكر الإنساني

يقوم مذهب "أوجيست كونت" على قائمة من المعارف الإنسانية ونظرية عامة للعلوم تنبع أساسا من فلسفته الوضعية، فمن وجهة نظره يمكن تصنيف المعارف الإنسانية إلى ست معارف هي: الرياضيات، الفلك ،الطبيعة، الكيمياء، علم الأحياء وعلم الاجتماع، هذا العلم الجديد الذي وضعه

على رأس قائمة المعارف كونه علم يدرس المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية ويسعى إلى الكشف عن القوانين التي تحكمها، وهذا الترتيب من وجهة نظره ليس ترتيبا عقليا فقط، بل هو يساير كذلك تاريخ تطور العلوم. **(بوتول، 72)**

وقد قدم "كونت" نظرية عامة للتطور الفلسفي، تقوم على أساس أن الأفراد ومن ثمة المجتمعات قد مروا في سبيل فهم وتفسير العالم الذي يعيشونه ويحيط بهم بثلاث اتجاهات متعاقبة، شكلت بمفهوم علم الاجتماع المراحل الثلاث لتطور الفكر الاجتماعي ، واصطلح عليها **"كونت"** تسمية (قانون الحالات الثلاث) الذي مضمونه:

- **المرحلة الأولى**: المرحلة اللاهوتية أو الدينية وهناك من يسميها الخرافية، وهي مرحلة فسر فيها الإنسان الظواهر الطبيعية وغيرها من الظواهر في إطار القوى التي تفرضها الأرواح والآلهة، ففي النظم الاجتماعية التي كانت بهذه العقلية كان الاستعلاء الطبقي للجماعات الكنسية.
- **المرحلة الثانية**: المرحلة الميتافيزيقية أو الفلسفية، و هي مرحلة الفكر المجرد التي ترتبط فيها المثل عن الأشياء والمجردات التي توجد في عقول الأفراد بالواقع، وينظر للقوى المجردة باعتبارها قوى كامنة داخل الأشياء نفسها، وإليها يرجع السبب الأول في تفسير مختلف الظواهر.
- **المرحلة الثالثة**: المرحلة الوضعية أو العلمية، وهي المرحلة التي تفسر فيها الظواهر استنادا إلى المبادئ العلمية، المستندة إلى الملاحظة العلمية.

وقد اعتقد كونت أن التصنيع مرتبط **بالمرحلة الوضعية**، والتطور الإنساني في مقابل المرحلة الخرافية التي ترتبط بالعبودية، ويؤدي تطبيق العلم الوضعي على المسائل الإنسانية بالضرورة نحو مجالات السلام والوفرة الاقتصادية وخصوبة الفكر الإنساني، وعليه فإن العلم الوضعي حسب **"كونت"** بالحقائق التي تخضع للمشاهدة والملاحظة في مقابل العلم المعياري أي علم الأخلاق الذي يدرس المعايير ومستويات السلوك.

03- الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية :

قسم "أوجيست كونت" علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين، الأول هو الاستاتيكا الاجتماعية (Social Statics) والثاني سماه الديناميكا الاجتماعية (Social Dynamics).

- **الاستاتيكا الاجتماعية:** هي العلم الذي يختص بدراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها، وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، وتتجسد في شكل النظم الأساسية والوحدات التنظيمية المركبة للمجتمع، كالاقتصاد، الأسرة والسياسة، ويفهم علم الاجتماع في هذه الحالة على أنه دراسة العلاقات التبادلية بين هذه النظم؛

إذ يقول "كونت" بهذا الصدد "يتمثل الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة قوانين الفعل وردود الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي "، ويستطرد قائلا: "إن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها بعض كما لو كان لكل منها وجود مستقل، وعلينا بدلا من هذا أن ننظر إليها على اعتبار أنه تربطهم علاقات متبادلة، وأنها تكون كينا كليا، يفرض علينا أن نتناولها في علاقاتها ببعضها البعض". **(إنجلز، 1983، 35)**

ومثال ذلك الأسرة كنسق اجتماعي تتطور في مراحل مختلفة، كما أن لها علاقات بالأنساق الأخرى المكونة للبناء الاجتماعي.

- **الديناميكا الاجتماعية:** هذه الأخيرة تُعنى بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية، والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس المجتمع الإنساني في عمومه وكليته ومن ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال. **(عبد المعطي، 1981، 62)**

ويقول "كونت" بالنسبة لتطور المجتمعات وتغيره عبر الزمن "يجب أن نتذكر أن قوانين الديناميكا الاجتماعية تبدو أكثر إيضاحا عندما ننظر إليها في ضوء المجتمعات الكبيرة" ، ويبدوا أن "كونت" كان يعتقد أنه قد استطاع بذلك حل مشكلة التغير والتطور نهائيا، فقد كان مقتنعا أن جميع المجتمعات قد مرت ببعض مراحل التطور المحددة ، وأنها كانت تتقدم باستمرار نحو مزيد من الكمال، وبرغم أن هذه الفكرة وجدت الكثير من المعارضين إلا أن ما يهمنا هو أن "كونت " كان يعتبر أن الدراسة المقارنة للمجتمعات بوصفها كيانات كلية تمثل موضوعا رئيسيا من موضوعات التحليل السوسيولوجي، ولعل قانون "الحالات الثلاث" الذي جاء به خير سبيل لفهم التطور والتقدم الاجتماعي.

04- المنهج عند كونت

يرى **"أوجيست كونت"** أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي يجب أن يتوافر شرطان هما:

- **الشرط الأول:** أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها ولا تخضع للأهواء والمصادفات، وذلك لأن فهمها بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها.
- **الشرط الثاني:** أن يستطيع الأفراد التعرف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

حيث يرى أن الشرط الأول متوافر في الظواهر الاجتماعية لأنها جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها، وأما الشرط الثاني فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية، وبقيام ها العلم يتم القضاء على الفوضى الفكرية ومن ثم يتم الإصلاح الاجتماعي المنشود . **(عبد الجواد، 14)**

إن رؤية "كونت" لعلم الاجتماع كانت رؤية علمية وضعية، وكان ينبغي على علم الاجتماع في اعتقاده أن يطبق المنهجيات العلمية الصارمة نفسها في المجتمع، كما هو الحال في الأساليب التي تنتهجها الفيزياء والكيمياء في دراسة العالم الطبيعي. **(غدنز، 2005، 62)**

وتتمثل ركائز منهجه في الدراسة والبحث: في الملاحظة والتجربة التي تقوم على منطق المقارنة بين الظواهر والمجتمعات، وأخيرا التحليل التاريخي المنطلق من دراسة الأفكار وتحليلها كمقدمة أساسية لفهم التطور الاجتماعي، ويجدر هنا القول بأنه برغم كل هذه الركائز فإنه عَد الملاحظة أهمها وأكثرها دقة، لأنها الأكثر اتساقا والفهم العلمي . **(عبد المعطي، 0981، 62)**

حيث اعتمادا على الملاحظة الحسية المتأنية يستطيع الإنسان أن يستنتج القوانين التي تفسر العلاقات بين الظواهر الملحوظة، ويستطيع العلماء بعد فهم العلاقات السببية بين الأحداث أن يتكهنوا بما ستكون عليه الأحداث في المستقبل، ومن هنا فإن علم الاجتماع الوضعي يعتقد بأن إنتاج المعرفة عن المجتمع ممكنة إذا ما اعتمدنا على الدلائل التجريبية المستقاة من الملاحظة والمقارنة والتجريب. **(غدنز، 2005، 62)**

وعلى الرغم من هذه الدعوة المنهجية "للأوجيست كونت"، إلا أنه لم يثبت عنه أن طبق التجريب على الظاهرة الاجتماعية، بل نجده اكتفى بعقد مقارنات متحيزة في كثير الأحيان ، كما أن الملاحظة الحسية كسبيل للمعرفة العلمية التي ركز عليها في منهجه، كانت في الغالب متأثرة بذاتية الباحثين وأهوائهم .